# الفصل الأول

## ملامح الإعجاز الطبى
## فى الطيبات من الرزق

- المبحث الأول : فى عسل النحل
- المبحث الثانى : فى الرطب
- المبحث الثالث : فى الماء
- المبحث الرابع : فى الألبان

# الفصل الأول

# ملامح الإعجاز الطبى
# فى الطيبات من الرزق

يقول الإمام الألوسى رضي الله عنه ، فى كتابه المعروف بروح المعانى عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴾ : أتي بهاتين الصفتين - يعنى الإطعام والإسقاء بعد ما تقدم ، لما أن دوام الحياة ، وبقاء نظام خلق الإنسان بالغذاء ، والشراب ، ما سلك فيهما مسلك العدل وهو أشد احتياجا منه إلى غيرهما ، ألا ترى أن أهـــل النار ، وهم فى النـار ، لم يشغلهم ما هم فيه من العذاب عن طلبهمـــا ، فقالوا : ﴿ أَفِيضُـوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ ﴾ .

نعم إن الطعام قوام الكائنات الحية جميعـها ، فلا استمرار ولا بقاء لإنسان ، أو حيوان ، أو نبات بدون غذائه الضرورى ، وإن اختلفت نوعية الغذاء هذه باختلاف نوع الكائن الحى .

والإسلام لما كان دينا واقعيا لا رهبانية فيه ولا كهنوتية ، أحل الطيبات من الرزق ، حتى يتمكن الإنسان ، ويستطيع عمارة هذا الكون ، التى هى مطية ووسيلة لعمارة الحياة الآخرة ، يقول تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ، وَاشْكُرُوا للهِ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (١) وقال جل شأنه : ﴿ قُلْ مَنْ حَـرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ (٢) . والطيبات من الرزق تنحصر فى جميع الأطعمة والأشربة .

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٧٢ .  (٢) سورة الأعراف : الآية ٣٢ .

المتوافر فيها جميع العناصر الغذائية ، التى تمد الجسم بالطاقة اللازمة لنموه ، والطيبات تناقضها الخبائث المحرم - إسلامياً - أكلها أو شربها . لا حتوائها على جراثيم ، وميكروبات تدمر صحة الإنسان البدنية والنفسية وبالتالى تحول بينه وبين أداء رسالته العليا فى هذه الحيـــاة ، وهى عـــــبادة خالق الإنسان والكون والحـــياة ﴿ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١) .

* *

من رحمة الله تعالى التى وسعت كل شىء ، أن أحل لعباده الطيبات من الرزق وما أكثرها وحرم عليهم الخبائث ، وما أشدها ندرة وقلة ، فالطيبات هى القاعدة الكلية والخبائث هى الاستثناء من هذه القاعدة ، فمن هذه الطيبات ، الأطعمة والأشربة التى لا تعد ولا تحصى ، والتى منها الخضراوات ، والألبان ومنتجاتها واللحوم بأنواعها :

**١ - الخضراوات** : ومنها الخس الذى يحتوى على « فيتامنيات وأملاح ومواد مهدئة للأعصاب » (٢) ومنها السبانخ : « الغنى بالبروتين والمعادن والحديد والمغنسيوم والفوسفات واليود » (٣) ، ومنها الكرفس الذى « يستعمل كفاتح للشهية ومدر للبول » (٤) .

**٢ - الفواكه** : مثل الجوافة وهى من « أغنى الفواكه بفيتامين ج ، أ . والخوخ الذى له فوائد غذائية ، وطبية . فهو يستعمل كمطهر ، ومدر للبول وطارد للديدان ، ومهبط للحرارة » (٥) ومنها الكمثرى التى « تحتوى على كمية

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٠٢ .

(٢) العلاج الطبيعى والنباتى على هدى من الكـــتاب والسنة د. محمد حماد ، ود . محمد رجائى .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق .

من المواد البروتينية ، وتحتوى أيضاً على فيتامين أ · ب ، ومنشط للأمعاء ومدر للبول » [1] .

**٣ - من الحبوب** : التى لا غنى عنها للانسان القمح والشعير ، والعدس ، والبن ، ومنتجاته ، وكلها من الطيبات ، التى أنعم الله تعالى بها على الإنسان ·

**٤ - اللحوم** : لما كان الإسلام حريصاً ، على بناء مجتمع يمتاز أفراده بسلامة البنية الصحية ، والنفسية ، ولا يتحقق هذا البناء المجتمعى القوى إلا بالغذاء الصحى الجيد ولا يكون الغذاء صحيا ، وجيداً ، إلا بالطيبات ، التى أحلها الله تعالى ، وباجتناب الخبائث التى حرمت · فمن هذه الطيبات : اللحوم بجميع أنواعها ، سواء كانت لحوما حيوانية أو لحم طير ، أو لحوما بحرية ﴿ وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ البَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا ﴾ [2] .

فاللحم متوافر فيه العناصر الغذائية ، مثل البروتينات التى تحتوى على ما يسمى علميا بالأحماض الأمينية ، وهى العناصر الأساسية لبناء أنسجة الجسم وعضلاته كما أن هذه البروتينات الحيوانية ، تشكل قوة دفاع عن جسم الإنسان ضد الميكروبات والجراثيم ، فهى غذاء ودواء ، وهكذا نرى أن الإسلام أولى عناية كبرى بصحة الإنسان عن طريق التغذية ، التى تحتوى على جميع العناصر التى تساعد على بناء الجسم وتقويته ، ومن هنا ندرك حكمة الإسلام ، فى إباحة اللحوم ، ما دامت هذه اللحوم تندرج تحت مسمى الطيبات من الرزق ، فتحريم ما أحله الله تعالى - كما فعل من يسمون بالنباتيين - ليس رحمة بالحيوان كما يدعون · لأن هؤلاء ليسوا أرحم من الرحمن الرحيم سبحانه · ولأن تحريم الطيب من الطعام يشكل ضررا صحيا على الإنسان · فالذين ضيقوا رحمة الله تعالى الواسعة ، وحرموا على أنفسهم تناول اللحوم تراهم

---

(١) المصدر السابق ·

(٢)سوررة النحل : الآية ١٤ ·

ضعاف البنية ، وذوى أجسام هزيلة « والطفل المولود فى الشعوب النباتية لا يزيد وزنه عادة على ٢ كجم ، فى حين أن مثيله فى الشعوب الأخرى يزيد على ٣ كجم »[١] .

إذن لقد جهل هؤلاء القوم ماهية الرحمة الحقيقية ، إن الرحمة بالحيوان هى ألا تتعرض له بأى صورة من صور الإيذاء ، أو التعذيب ، أو الإضرار . إن الإسلام يطالبنا برحمة الحيوان عند ذبحه أيضاً ، وهذا ما يشير إليه قول رسولنا الكريم ﷺ : « إن الله كتب الإحسان على كل شىء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة ، وليحُد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته »[٢] هذا هو مفهوم الرحمة فى المنهج الإسلامى ، وهذه هى حضارة الإسلام ، حضارة لا إله إلا الله .

* *

(١) الطب الوقائى فى الإسلام د . شوقى الفنجرى .

(٢) فقه السنة جـ ٣ لفضيلة الشيخ سيد سابق .

# المبحث الأول

# فى عسل النحل

﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) .

ويقول الرسول الكريم محمد ﷺ : « عليكم بالشفاءين القرآن والعسل » فكما أن القرآن شفاء للقلوب · مما ران عليها من أدران الشرك والضلالة والانحراف عن صراط الله المستقيم ، فكذلك عسل النحل فيه شفاء لكثير من الأمراض ، وتكمن هنا معجزة القرآن الطبية والدوائية ، فالقرآن الذى أنزل على نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام ، قبل أكثر من أربعة عشر قرنا ، علم الناس أجمعين ، قيمة عسل النحل الغذائية،والدوائية، والشفائية ، ولكى ندرك جيدا معجزة القرآن الطبية ، علينا أن نشير إلى طب الإنسان ، قبل الإسلام لنعرف ماذا قدم مدعو الطب والعلاج - فى ذلك الوقت - لراحة إنسان عصرهم مما يلاقيه من آلام فى جسده · ونفسه ، إنهم لم يعالجوا المريض إلا بالشعوذة ، والدجل ، ومحاربه الأرواح الشريرة - كما زعموا - التى تسكن جسد مريضهم ·

نعم لن نعلم معجزة القرآن والسنة النبوية فى فن العلاج ومداواة المرضى إلا إذا درسنا موقف الإسلام من المرض والمريض والدواء ·

---

(١) سورة النحل : الآية ٦٨ ، ٦٩ ·

روى الإمام البخارى - ﷺ فى صحيحه - « عن أبى سعيد الخدرى أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال : أخى يشتكى بطنه . فقال : « اسقه عسلا » ثم أتاه الثانية فقال : « أسقه عسلا » . ثم أتاه الثالثة فقال : « إسقه عسلا » . ثم أتاه فقال : فعلت : فقال : « صـــدق الله ، وكذب بطن أخيك اسقه عسلا » فسقاه فبرأ .

هذا الخبر ، أو الحديث النبوى الذى يروى لنا واقعة معينة ، ربما يطرح تساؤلين يتعين علينا ، أن نجيب عنهما ، ففى هاتين الإجابتين ، بعض أبعاد الإعجاز الطبى فى القرآن ، والسنة ، وأسراره ، وحكمه العليا .

## نقول مستعينين بالله عز وجل :

أولا : إن من تعريفات الإسلام التى اطمأن إليها قلبى ووجدانى مع احترامى الشديد لتعريفات علماء التوحيد - هو « الاستسلام والطاعة . الاستسلام لأمر الله عز وجل،والطاعة لشرعه ، والاتباع لرسوله ومنهجه»[1] .

فالآية القرآنية صريحة ، وواضحة ، وجلية . لا لبس فيها ، ولا غموض ، ولا التواء ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ وعلى المسلم بمفهوم الإسلام ، الذى أشرنا إليه آنفا أن يعتقد ، ويؤمن ، اعتقادا ، وإيمانا يستغرقان ، ويملآن قلبه ووجدانه بشفائية العسل ، كما قال أصدق القائلين فى محكم كتابه ، ولقد كان المسلمون الأوائل كذلك ، كانوا إيمانا ، وإسلاما ، وقرآنا ، يمشـــون ، ويروحون ، ويغدون على هذه الأرض .

« فقد أخرج حميد ابن زيجويه عن نافع أن ابن عمر ، ﷺ كان لا يشكو قرحة ، ولا شيئًا ، إلا جعل عسلا حتى الدمل ، إذا كان به طلاه عسلا فقلنا له : تداوى الدمل بالعسل ؟ فقال : أليس الله تعالى يقول : ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ .

---

(١) فى ظلال القرآن .

**فالشفاء لا يتم إلا بتوافر ثلاثة شروط :**

١ - تناول واستخدام الداء الفعال الخاص بالداء .

٢ - مشيئة الله تعالى فى الشفاء .

٣ - الإيمان اليقينى بفعالية وجدوى الدواء - بعد مشيئة الله تعالى هذا الإيمان اليقينى . هو الذى يطلق عليه الطب الحديث بالإيحاء الذاتى .

ثانيا : قول النبى ﷺ فى حديثه السابق ذكره « صدق الله وكذب بطن أخيك » ونصيحته عليه الصلاة والسلام الشاكى بتكرار الدواء - العسل - يؤكدان نظرية علمية ، وهى أن لكل شىء خاصـــية . وقد تتخلف هذه الخاصية أحيانا ، لا لقصور فى الخاصية ، وإنما لسبب وعامل خارجى يتعلق بالجهة المستقبلة لهذه الخاصية ، فمن خاصية الماء العذب إنبات الأرض المؤهلة لهذا الإنبات ، ولكن قد لا تنبت الأرض المروية بهذا الماء العذب أحيانا ، ويكون عدم الانبات هذا مسئولية هذه الأرض ، كأن تكون أرضا ملحة ، أو جرداء ، أو صخرية ، وليس مسئولية الإرواء بهذا الماء .

والبطن الذى لم يشف بالعسل لأول مرة - فى الحديث النبوى - لم يكن لقصور فى الدواء - وهو العسل - وإنما الداء كان فى حاجة لتكرار الدواء لقتل الميكروب كما أن الطب الحديث ينصح المرضى بمداومة تناول الدواء حتى يتمكن الدواء من قتل فيروس المرض قتلا نهائيا ، لئلا ينشط هذا الفيروس فى حالة عدم القضاء عليه بصورة فعالة .

وهذا ما حدث مع الشاكى ببطنه فى الحديث الذى رواه الإمام البخارى والذى أسلفناه - فقد تم الشفاء بعد أن نصحه الرسول عليه الصلاة والسلام أن يسقى أخاه العسل مرات ثلاثا . فقد جاء فى بعض الروايات « فسقاه فشفاه الله فبرأ كأنما انشط من عقال » [١] .

---

(١) العقال : الحبل الذى يعقل به البعير .

ولأن معجزة القرآن الطبية التى تلقاها المسلمون الأولون قبل أربعة عشر قرنا ، وآمنوا بها ، وطبقوها عمليا وصحت أبدانهم وقلوبهم ، واستنار وجدانهم بالنور الذى أنزل عليهم ، فسادوا ، وأورثهم الله تعالى الأرض بعد أن كانوا مستضعفين فيها .

لذلك كان حريا وواجبا على طب القرن العشرين أن يتتلمذ ويتلقى الدرس الإلهى ، من رسالة السماء إلى الأرض . من القرآن العظيم والسنة النبوية الصحيحة ، فلم يكن أمام هذا الطب إلا أن يقر ويعترف بفضل علم القرآن الطبى . مؤكدا أن العسل يقتل الجراثيم والميكروبات الضارة بصحة الإنسان فقد « أجرى بعض الأطباء بحوثا على العسل من قبيل زرع جراثيم متنوعة فيه ، فثبت لديهم موتها بعد ساعات من زرعها ، كما أكد البعض الآخر من الأطباء بعد إجرائهم تجارب عديدة أن الجراثيم المرضية التى تصيب الإنسان تموت بالعسل »[1] .

كما اكتشف الطب الحديث معجزات طبية أخرى للنص السامى ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ فظهر جليا لهذا الطب ، أن عسل النحل يعالج الأمراض الجلدية « للعسل تأثيرات موضعية فى معالجة الجروح والقروح ، والأمراض الجلدية المختلفة ، لأن وجوده يساعد فى زيادة إفرازات الجروح لمادة « الفلوتاتيون ، التى لها دور كبير فى عمليات الأكسدة ويزيد فى نمو البراعم الحبيبية واسراع التندب حتى الشفاء »[2] .

ولما كان غذاء النحل مكونا من جميع العناصر الغذائية المفيدة ، ولم يكن غذاؤها بهذه الصورة ، إلا استجابة للإلهام الالهى للنحل ، فقد قال عز وجل موجها خطابه إلى النحل ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ أى - والله تعالى

---

(١) القرآن والطب الحديث د . صادق عبد الرضا .
(٢) المصدر السابق .

أعلم – من كل الثمرات الطيبة المتعددة المنافع ، المختلفة الفوائد ، فكانت فى خلاصة غذائها هذا « شفاء للناس » وقد آمن العلم بذلك ، فكان عسل النحل مكونا من « الماء وكربوهيدرات وفيتامين ب٢ ، وفيتامين جـ وكالسيوم ، وبروتين ، وفيتامين (ب ١ ) وبوتاسيوم · وحديد وفوسفور ، وغيرها من المعادن ، كما تعطى كل ١٠٠ جرام من عسل النحل ٢٩٤ سعرا حراريا »[١] والفيتامينات التى يحتويها عسل النحل فيتامينات طبيعية ، مثل الخضروات والفواكة الطبيعية ، فقد ثبت أن الفيتامين الطبيعى خير وأفضل « الف مرة من الفيتامين الصناعى ، لأن الأخير يسبب أحيانا بعض أنواع الأورام بسبب وجود الحديد فيها»[٢] صدقت يا رسول الله صلى الله عليك،وعلى آلك وصحبك · صدقت حين قلت وفى كل ما قلته ، وفعلته · صدقت فى قولك « العسل شفاء من كل داء · والقرآن شفاء لما فى الصدور ، فعليكم بالشفاءين : القرآن والعسل » ·

* * *

(١) الأطعمة القرآنية د · محمد كمال عبد العزيز ·

(٢) الأهرام ٩ / ١٠ / ٩٥ الصفحة الأولى ·

# المبحث الثانى

# فى الرطب

« عن ابن عمر[1] قال : قال رسول الله ﷺ « إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مَثَلَ المسلم ، فحدثونى ما هى ؟ » فوقـــع الناس فى شجر البوادى ، قال عبد الله ، ووقع فى نفسى ، أنها النخلة ، فاستحييت ، ثم قالوا : حدثنا ما هى يا رسول الله قال : « هى النخلة » [2] .

لما كانت النخلة من الأشجار ذات الفوائد والمنافع المتعددة شبهها معلم البشرية وأعلم الخلق بربه عز وجل بالمسلم ؛ لأن المسلم خيره وصلاحه ، وبره يتعدى ذاته وأهله ، وذويه ، لتمتد ، وتشمل مجتمعه الإسلامى ، وغير الإسلامى ، فالمسلم خير الناس ، وأنفعهم للناس .

ومعرفة الرسول ﷺ - وهو الأمى - بمزايا النخلة العديدة لبنى البشر جميعا ، نقول معرفته عليه الصلاة والسلام - وهو ليس الخبير فى الزراعة ، ولا العالم فى النبات - معرفته بفوائد النخلة الكثيرة معجزة نبوية كبرى ، لأن هذه المعرفة النابعة من معين النبوة ، المشعة من مشكاة من يتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ، سبقت منذ قرون عديدة ، ما عرفه خبراء الزراعة ، وأساتذة النبات بعد أن كلفتهم هذه المعرفة ، سنوات عديدة ، وأموالا طائلة وتجارب شاملة توصلوا من خلالها إلى الجدوى الاقتصادية للنخلة ، وهى أن كل جزء من أجزائها قابل للاستفادة بما فيه « النوى » الذى يصلح علفا للحيوان ، هذا بالإضافة إلى فوائد التمر ، والرطب الطبية ، والدوائية ، فالرحمن الرحيم الرءوف بعباده جل وعلا ، قال مطمئنا ، ومنزلا سكينته على قلب أفضل نساء العالمين ، السيدة مريم ابنة عمران عليها السلام . بعد أن نفخ فيها من روحه

(١) هو عبد الله بن عمر . (٢) فتح البارى جـ١ ص ٢٧٧ .

جلت قدرتـــه ، فأجأها المخـــــاض إلى جذع النخلة ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[1] فمن فوائد النخلة - التى تشبه فى خيرها المسلم الذى يعم خيره كل الناس - إنتاجهـــا للرطب الذى هو غذاء ودواء للوالدة ، لأن الله تعالى العليم القدير لم يأمر السيدة مريم عليها السلام إلا بما فيه الدواء والغذاء - والبلسم الشافى لآلام الولادة، ولم يكن الدواء والغذاء ، إلا الرطب ، ولم يكن ما قاله العلم الحديث عن فوائد الرطب الا من قبيل تحصيل الحاصل ، بالقياس إلى ما أثبته القرآن الكريم ، منذ قرون بعيدة . فلقد قال العلم الحديث إن الرطب « له تأثيـــــر منبه لحركة الرحـــــم ، وزيـــادة فترة « انقباضاته » [2] .

« وقد جاءت الأبحاث الطبية الأخيرة لتكشف عن آثار الرطب التى تعادل العقاقير الميسِّرة لعملية الولادة ، والتى تكفل سلامة الأم والجنين معا ، وانقباض الرحم بعد الولادة مباشرة يمنع النزيف ، الحادث بعد الولادة ، ويعود بالرحم إلى حجمه ومكانه الطبيعى قبل الحمل » [3] .

« يقرر العلماء أن بالرطب هرمونا أسموه « اليتوسين » الذى يعمل على تقوية عضلات الرحم ، وينظم الانقباضات العضلية ، ومن عجب أن هذا الهرمون يقوم بالعمل وعكسه فى آن واحد ، طبقا لحاجة الجسم ، فهو يزيد من الطلق فى الحوامل عند الولادة ، إذا كان الطلق باردا ، ويقلل منه إذا كان حاميا ، فهو أكبر مساعد دوائى للوضع » [4] .

## ومن فوائد منتجات النخيل الطبية الأخرى :

- « جاء فى المراجع الطبية القديمة ، أن أكل التمر علـــى الريق يقتل الدود ، والعجوة أيضًا قيل أنها تقتل الدود فى البطن » [5] .

(١) مريم : ٢٥ .  (٢) الأطعمة القرآنية .  (٣) المصدر السابق.
(٤) العلاج بالتمر والرطب د . نبيل على عبد السلام .
(٥) الأطعمة القرآنية .

- « البلح مفيد فى تقوية العضلات المعوية ، ويساعد فى حالات الإمساك لما يحتويه من الألياف ، التى تعمل على تنبيه حركة الأمعاء » [١] .

- « للتمر تأثير مهدىء للأعصاب ، وذلك بتأثيره على الغدة الدرقية ، ولذلك ينصح الأطباء ، بإعطاء الأطفال ، والكبار ، من العصبيين ثمرات من التمر فى الصباح من أجل حالة نفسية الطفل » [٢] .

- « منقوع البلح مدر للبول وملين » [٣].

- « التمر غنى بالأملاح المعدنية القلوية مثل أملاح الكالسيوم ، والبوتاسيوم فهو خير ما يؤكل لمعادلة حموضة المعدة ، وكذلك لأنه يخلف رمادًا قلويا بعد هضمه ، وتمثيله ، فإنه يعادل الحموضة التى تتولد من أكل البروتينات المركزة مثل السمك والبيض » [٤].

إن الطب الحديث بجميع إمكاناته ، وقدراته الفائقة ، واكتشافاته المتعددة فى مجالات الدواء ، والعلاج ، وعلم الوقاية ، لم يكن إلا شارحًا ومفصلا لما أجمله الطب القرآنى والنبوى ، ولا سيما فى مجال الأطعمة والأشربة غذاء ودواء . وهذا دليل وبرهان ساطع ، على أن الإعجاز القرآنى والسنة النبوية ، لم يكن مقتصرا على الإعـجاز البيانى ،والبلاغى ، وإنما شمل الإعجاز الطبى ، والدوائى . وصدق الله العظيم الذى قال : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ ﴾ .

* * *

(١) الأطعمة القرآنية .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق .
(٤) المصدر السابق .

# المبحث الثالث

## فى المـــــاء

﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴾ (١) .

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) ، ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاءٍ فَمِنهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ، وَمِنهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ، وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣) ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ (٤) .

إن الماء مصدر حياة لكل كائن حى ، إنسانا ، أو حيوانا ، أو نباتا وقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة العلمية ، وكما أن الماء مصدر للحياة · فهو أيضا وسيلة للعلاج من بعض الأمراض كالحمـــى مثلا · فقد قال ﷺ : « الحمى من فيح جهنم فأطفئوها بالماء » وفى صحيح البخارى « أن أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنها كانت إذا أتيت بالمرأة قد حمت تدعو لها · فأخذت الماء فصبته بينها ، وبين جيبها وقالت : كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نبردها بالماء »(٥) وموطن الإعجاز الطبى الذى تناوله الحديثان النبويان هو إشارتهما إلي فاعلية الماء كعلاج ومهبط لحرارة الجسم · إلا أن الحديث الثانى تكفل بشرح الكيفية الصحيحة لاستخدام الماء · هذه الكيفية التى تنحصر فى صب الماء فى مواضع خاصة من جسم المريض : فشمول الماء لجسم المحموم كله ، ربما يضر صحيا وذلك بإصابته ببعض نزلات البرد المعروفة ·

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢ · (٢) سورة الأنبياء : الآية ٣٠ ·

(٣) سورة النور : الآية ٤٥ · (٤) سورة ق : الآية ٩ ·

(٥) فتح البارى ·

وقد تعرض الإمام ابن حجر العسقلانى ﷺ ، لهذا المغزى الطبى المستنبط من حديث أسماء بنت أبى بكر ﷺ فقال : « وأولى ما يحمل عليه كيفية تبريد الحمى ، ما صنعته أسماء بنت الصديق ، فإنها كانت ترش على بدن المحموم شيئًا من الماء بين يديه وثوبه، فيكون ذلك من باب النشرة المأذون فيها · والصحابى ولا سيما مثل أسماء التى هى ممن كان يلازم بيت النبى ﷺ أعلم بالمراد من غيرها »[1] .

إن الرسول ﷺ الرءوف الرحيم بالمؤمنين ، كما وصف بذلك فى الكتاب الحق المبين ، والذى بعث ليخرج الناس من الظلمات إلى النور · اقتضى حرصه على أمته ، ورأفته ورحمته بهم ، أن يعلم هذه الأمة الكتاب والحكمة ، ويزكيهم مبينا للعالمين صراط الله القويم الذى يهدى إلى الفوز والفلاح فى الدنيا والآخرة · ولم يكتف الرسول الكريم عند هذا وحسب ، بل كان مهموما بالصحة البدنية والنفسية للمسلمين كافة ، واصفا لهم الدواء الناجع لشكاواهم المرضية مع الكيفية والطريقة السليمة لاستخدام ما يصف لهم من دواء النبوة · وهذه مواصفات وخصائص الطبيب الخبير الناصح الأمين · الذى يريد لمريضه المعافاة ، والسلامة من كل داء ·

ولا نريد أن ندخل فى جدل أجوف ، لا طائل ولا جدوى من ورائه وهل كان الرسول عليه الصلاة والسلام ، كان طبيبا أو لم يكن وهل ما جاء فى الطب النبوى ، من وصفات علاجية لبعض الأمراض جزء من الطب بمعناه المعروف ؟ ·

بل الذى نؤمن به إيمانا أن الرسول محمد ﷺ إنما بعث لإقامة دولة التوحيد ، ومحاربة الشرك والوثنية والضلالة بجميع أشكالها ، ومسمياتها ، الظاهر منها والخفى خفاء دبيب النمل ·

---

(١) شرح فتح البارى جـ ١ ·

نعم بعث الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ظلم الشرك إلى عدل الإسلام .

أما حجية الطب القرآنى والنبوى ، ودلالة إعجازهما ، فلا أقول إن الطب الحديث باكتشافاته ، وانتصاراته الباهرة ، أقر وشهد بهذه الحجية ، وذلك الاعجاز للكتاب والسنة ، وإنما أقول مؤكدا - كما قلت وأكدت ذلك من قبل فى ثنايا هذا الكتاب - نقول يكفى الطب الحديث هذا شرفا وعزة ومكانة ايمانه - بعد التجارب العلمية العديدة - بالمعجزة الطبية للقرآن والسنة النبوية ، فمن الذين آمنوا وأكدوا فاعلية وجدوى الطب النبوى الطبيب الفرنسى سان جورجيوذ ريلانو الذى قال : « لقد دحضت الروايات التى نقلت عن الطب النبوى ، ودحضت زعم القائلين بأن النواحى الصحية مهملة فى الإسلام ، وثبت أن تعاليم الإسلام صحية ودينيه فى آن واحد » [1] ثم يقول « وفى كل حال ، أن الأمر الذى لا شك فيه ، هو أن الرسول كان واسع الاطلاع فى الطب ، وأن المعالجة والصحة كانتا من الموضوعات الرئيسية التى عالجها النبى الأمين ، حتى يصح أن يقال فيه إنه لم يكن أول طبيب فى الإسلام فحسب ، بل أيضًا أول من وضع كتابا ممتازًا فى الطب سمى بالطب النبوى [2] .

* * *

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى فى كتابه « الطب النبوى » ( ماء زمزم سيد المياه ، وأشرفها ، وأجلها قدرا ، وأحبها إلى النفوس ، وأغلاها ثمنا وأنفسها عند الناس » وثبت فى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال لأبى ذر - وقد أقام بين الكعبة ، وأستارها أربعين ما بين يوم وليلة ، وليس له طعام غيره ، فقال النبى ﷺ : « أنها طعام طعم » ، وزاد « غير مسلم » بإسناده « وشفاء سقم » .

ولا شك أن ماء زمزم من المياه الحبيبة إلى قلب كل مسلم ، ولا سيما إذا

(١) الوجيز فى الطب الإسلامى .  (٢) المصدر السابق .

كان حاجا ، فمن سنن الحج ، شرب ماء زمزم · بعد الطواف وركعتى الطواف ، ثم الدعاء ، ففى حديث آخر « ماء زمزم ، لما شرب له » صدق رسول الله ﷺ ، نعم فقد عشت تجربة ذاتية أثناء تأديتى لفريضة الحج · فقد كنت أشكو من علة فى أمعائى · وعلى الفور تذكرت الحديث السابق ذكره ، فشربت من ماء زمزم ناويا زوال ما أشكو منه · وبمشيئة الله تعالى وفضله برئت فور شربة من سيد المياه ·

وهناك بعض المياه التى لها خاصية علاجية لبعض الأمراض مثل « مياه عيون حلوان المعدنية التى تفيد فى علاج كثير من الأمراض ، منها زيادة الحموضة فى المعدة ، والإسهال المزمن ، وعسر الهضم ، والتهاب القولون المزمن ، كما تساعد على إفراز عصارة المرارة ، أما المياه المعدنية المعدة للاستحمام فبعضها يحتوى على ثانى أوكسيد الكربون ، ويفيد فى علاج تصلب الشرايين وفى تحسين الدورة الدموية ، وبعضها يحتوى على كبريت ، ويفيد فى علاج الروماتيزم والنقرس المزمن ، والتهاب العظام المزمن · وبعض الأمراض الجلدية وأمراض الحساسية ، وبعض أمراض الجهاز التنفسى » [1] .

* * *

(١) الغذاء والتغذية د· محمد ممتاز الجندى ·

# المبحث الرابع

# فى الألبـــان

قال تعالى فى كتابه الحكيم: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ (١) وقال عز وجـل : ﴿ مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ﴾ (٢) .

وفى الصحيحين « أن رسـول الله ﷺ أتى ليلة الإسراء بقدح من خمر ، وقدح من لبن ، فنظر إليهما ، ثم أخذ اللبن ، فقال جبريل عليه السلام: « الحمد لله الذى هداك إلى الفطرة ، لو أخذت الخمر غوت أمتك» .

والمعجزة الطبية للقرآن واضحة جلية فيما نشاهده ونلمسه من إشارة علمية ، وملحظ غذائى ، وشرط صحى من شـــروط فاعلية اللبن كغذاء ناجع . وردت هذه الإشارة فى قوله تعالى فى معرض وصف الأنهار من اللبن كطعام لأصحاب الجنة ﴿ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ﴾ وكنه هذه المعجزة القرآنية هو أن القرآن العظيم علمنا - منذ أربعة عشر قرنا - أن اللبن الصالح للشرب النافع للإنسان صحيا ، هو اللبن الحافظ لطعمه .

ونستطيع أن نقول إن اللبن الذى لم يتغير طعمه يعتبر تعريفا قرآنيا للبن الجيد ، السائغ للشاربين ، وفى هذا التعريف القرآنى للبن يكمن المعجزة الطبية والغذائية ، لهذا الكتاب الحكيم الذى لا ريب فيه . وقد تعلم « العلم » الحديث من علم القرآن المنزل منذ قرون طويلة .

---

(١) سورة النحل آية : ٦٦ . (٢) سورة محمد : آية ١٥ .

فقد أكد علماء التغذية المعاصرون « أن اللبن فى حالة تغير طعمه ، يكون غير صالح ، لأن تغير طعم اللبن ، ينشأ من عاملين :

١ - بسبب تغذية الحيوان على النفايات التالفة ، أو نتيجة نمو بعض الميكروبات .

٢ - إذا كانت الحيوانات مسنة أو أصابت ضروعها الالتهابات » [١] .

أما معجزة السنة النبوية فى بيان القيمة الغذائية للألبان فنراها فى قوله عليه الصلاة والسلام « من سقاه الله لبنا ، فليقل : اللهم بارك لنا فيه ، وزدنا منه ، فإنى لا أعلم ما يجزىء من الطعام والشراب غيره » [٢] أى أن اللبن يغنى عن كثير من الأطعمة والأشربة ، فمن الثابت علميا أن لا يغنى طعام أو شراب عن آخر ، فطعام الإنسان ينبغى أن يتضمن العناصر الغذائية المختلفة ، ولا يكفى عنصر واحد من الطعام ، ولا يعنى قولنا هذا دعوة إلى الإسراف المنهى عنه . فقول الرسول ﷺ ( فإنى لا أعلم ما يجزئ من الطعام والشراب غيره » إنما يعنى حقيقة علمية مؤكدة ، لا أقول أثبتها العلم الحديث بوسائله العديدة ، إنما أقول قد استشهد بها هذا العلم الذى ولد بعد قرون وقرون ، من البعثة النبوية .

فماذا قال العلم الحديث ؟ قال إنه ثبت أن الإنسان يستطيع الحياة أسابيع ، إذا اقتصر طعامه على اللبن فقط ، لماذا ، لأن اللبن يحتوى على :

١ - « المواد البروتينية التى تمد الإنسان بالأحماض الأمينية الأساسية لتكوين الأنسجة العقلية ، وبناء خلايا الجسم المختلفة ، لذلك فهى فى غاية الأهمية للأطفال النشء فى دور النمو ، وكذلك البالغون فى دور النقاهة .

٢ - المواد الدهنية توجد فى صورة ذائبة وسهلة الهضم ، وبالقدر الذى يحتاجه الإنسان لاستغلال السعرات الحرارية الناتجة منها فى نشاطه اليومى .

---

(١) الأطعمة القرآنية .

(٢) الطب النبوى .

٣ - سكر اللبن ( سكر اللاكتوز هو سكر ثنائى مكون من جلوكوز ، وجلاكتور ، وحلاوته تعادل $\frac{١}{٦}$ حلاوة السكروز » .

٤ - الفيتامينات الموجودة باللبن مثل فيتامين أ (A ) ويوجد فى صورة ذائبة بالمواد الدهنية ، وهو مهم جدا فى عملية النمو للأطفال والمراهقين ، كما أنه يعتبر العنصر الأساسى المسئول عن تكوين مستقبلات الضوء فى شبكية العين ( cohs ) ( Rods ) التى عن طريقها تتم عملية الإبصار ، وبذلك فإن نقص هذا الفيتامين يسبب عدم القدرة على الإبصار ، وخاصة فى الضوء القليل كالليل مثلا ، وهذا ما يسمى بالعشـــى الليلى » [١] وإذا كان اللبن الذى لم يتغير طعمه ، هو التعريف القرآنى للبن المتوافر فيه شروط الغذاء الجيد - كما أسلفنا القول - فما هى العوامل التى تؤدى إلى تغير طعم اللبن ؟

العلماء الذين اتقوا الله تعالى فعلمهم الله عز وجل ، العلماء الذين استفادوا واستضاءوا بالنور الذى أنزل مع سيدنا محمد ﷺ قد فطنوا وأدركوا أسباب تغير طعم اللبن فقالوا ( ... وأجوده - أى اللبن - ما اشتد بياضه ، وطاب ريحه ، وحلب من حيوان فتى ، صحيح ، معتدل اللحم ، محمود المرعى والشراب » [٢] فعدم توافر هذه الشروط فى اللبن حقيق بتغير طعمه .

وإذا كان الحديث عن اللبن مازال موصولا ، فما هو أفضل أنواع الألبان هل هو لبن الغنم ، أم لبن الماعز ؟ أم لبن البقر ؟ إذا خالفنا منهجنا فى هذا الكتاب منهجنا المبنى على عرض الطب القرآنى والنبوى أولا ، فعرضنا موقف الطب الحديث أولا فماذا نجد فى جعبة هذا الطب من إجابة على سؤالنا السابق؟

لقد أكد الطب الحديث أن أجود أنواع الألبان هو لبن البقر ، وذلك

---

(١) بتصرف من الأطعمة القرانية .  (٢) الطب النبوى .

لأسباب غذائية وأخرى طبية بسوقها طب التجارب العلمية ، وسوف نكتفى برأى طبيب واحد هو الدكتور صبرى القبانى ، فى مؤلفه الذى يتميز بالجودة والموضوعية والموسوعية أيضًا يقول « ... وأكثر أنواع الحليب شيوعا ، وأقلها تكلفة وأسهلها مراقبة ، من جميع النواحى ، هو حليب البقر - بعد حليب المرأة طبعا - وحليب البقر يستحق أن يدرس بعناية لإيفائه حقه كاملا :

يتركب حليب البقر كما يلى : -

| | | |
|---|---|---|
| سكر | ٤ر١٣ | بالمائة جرام |
| دهن | ٣ر١٦ | بالمائة جرام |
| مواد شبة زلالية | ٣١٤ | بالمائة جرام |
| كلس | ١٢٥ | جلجم |
| حديد | ١ر٠ | ملجم |
| سيوديوم | ٢٥٠ | ملجم |
| فيتامين أ | ٢٥٠ | ملحم |
| فيتامين ب | ٥٠ | ملجم |
| فيتامين ث | ٢٠ | ملجم |

« زد على ذلك أن حليب البقر يحتوى دائماً على ٠٣ ر ملليجرام من طليعة الجزرين أو طليعة الفتيامين ( أ ) ١٦ ر ملليجرام من فيتامين ( ب٢ ) المدعم بالفيتامين ( ب ) و ٢٨ ر ملليجرام ثم أضاف الدكتور القبانى « إن المثل الشائع « اشرب الحليب فهو ينبوع من الكلس لا ينضب » يستند إلى حقيقة علمية متينة ، إذ أن حليب البقر يحتوى على ٢٥ » ملليجراما من الكالسيوم فى كل مائة جرام » [١] .

(١) الغذاء لا الدواء صـ٣٥٥ - صـ٣٥٦ منشورات دار العلم للملايين- بيروت .

هذا ما قاله العلم المعاصر ، بعد المجهودات المكثفة ، فى مجالات الأغذية والأطعمة وقد قلنا أكثر من مرة خلال هذا الكتاب ، أن أحداً كائنا من كان لا يستطيع ولا يمكنه أن ينكر أو يهون ما قدمه العلم الحديث فى جميع ميادين الحياة وفروعها للإنسانية من خدمات ، وإنجازات جبارة تستحق الثناء والاشادة والتحية الصادقة ·

كذلك فإن البحث الموضعى المحايد يلزمنا ، ويلزم كل منصف يتغيا الحقيقة المجردة ، بالإقرار - بعد الاقتناع - والاعتراف بفضل الطب القرآنى والنبوى لما قدماه للبشرية من علم وتوجيهات طبية كانت للإنسانية نجوما ساطعة فى الليل البهيم ·

فإن الرسول ﷺ قبل معاهد التغذية بأربعة عشر قرنا أكد أن لبن البقر أجود أنواع الألبان ، معللا بعلة غذائية · هى أن البقر تتنوع فى غذائها ، أى تأكل من أشجار متعددة « عليكم بألبان البقر فإنها ترتم [1] من كل الشجر » [2] فيكون غذاؤها متعددا يجمع العناصر الغذائية لذلك يكون إنتاجها من اللبن محتويا لهذه العناصر الجيدة · وبالتالى يكون لبنها من أفضل الألبان · وهذا ما ينصح به الطب النبوى ، والطب الحديث ، ينصحان الإنسان أن يكون طعامه مكوناً لجميع العناصر الغذائية من حديد ، وبروتينات ودهنيات وسكريات وغيرها ·

والمعجزة النبوية فى علم الغذاء ، وفى تعليل الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، بالنسبة للبن البقر ، وجودته ، وأفضليته على الألبان الأخرى أن المعجزة النبوية هذه مقتدية بمعجزة علمية أخرى وردت فى القرآن الكريم فالقرآن الكريم عندما أعلن للناس أن عسل النحل فيه شفاء للناس أعلن فى الوقت نفسه أن الله عز وجل أوحي إلى النحل بأن تتخذ من الجبال بيوتا ، ثم

---

(١) تأكل · (٢) الطب النبوى ·

تأكل من كل الثمرات : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهِ شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ ، إن الله عز وجل العليم الخبير ألهم النحل أن يأكل من جميع الثمرات المحتوية لجميع العناصر الغذائية الجيدة ، فلم يقتصر النحل فى غذائه ، على لون واحد من الأغذية وإنما كان غذاؤه - بالإلهام الإلهى - متكاملاً بمفهوم علم الغذاء الحديث ، فكان إنتاجه من العسل شفاء للناس .

كما أن النبى ﷺ علل جودة لبن البقر بتعدد واختلاف غذائها فقال عليه الصلاة والسلام : فإنها ترتم أى تتغذى من كل الشجر فلذلك كان انتاجها من اللبن أجود أنواع الألبان .

ولا نزعم أن شفائية العسل ، وجودة لبن البقر مبعثهما الغذاء المتعدد وحده . وإنما نريد بيان موضع الإعجاز الطبى فى الكتاب والسنة اللذين كان لهما الأسبقية فى إشارتها الواضحة إلى أهمية وجدوى الطعام المكتمل لعناصر الغذاء المختلفة .

* * *